الغفران

بقلم/ ليون بارنس

تأليف: بروس مكلارتي

إن موضوع المغفرة هو في قلب المسيحية. لقداهتم الله كثيراً بمغفرة خطايانا بحيث دفع أغلى ثمن لكي يمنحنا اياها. فقد أرسل ابنه إلى العالم كإنسان ليكون بيننا ويعلمنا الطريقة الصحيحة للحياة، ويكابد المحن والتجارب، وأخيراً يموت موتاً مؤلماً على الصليب لكي نخلص. «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه» (٢ كور ٥: ٢١).

أظهر الله نعمته الفائقة في يوم الخمسين. فالناس الذين كانوا قد طلبوا سفك دم ابن الله نخسوا في قلوبهم نتيجة لموعظة بطرس وصرخوا: «ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟» فأجاب بطرس بوحي من الله قائلا: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (أعمال ٢: ٣٧ و٣٨). وعندما اطاع ثلاثة آلاف رجل ما أوصى به بطرس، غفر الله كل خطاياهم مجاناً.

الحقيقة هي ان الله مستعد دائماً ليغفر لكل منا خطاياه عندما يصبح لنا من الإيمان ما يكفي لنرجع إليه ونطيعه. عندما أنكر بطرس الرب في الوقت الذي كان يسوع بأمس الحاجة إلى المساندة والتشجيع من كل الذين كانوا حوله، ربما بدى الأمر لبطرس كما لو انه لم يعد هناك أمل في الرجوع، ولكنه عندما تاب عن هذه الخطيئة، لم يغفر له الله فحسب، بل سمح له أيضاً أن يكرز بأول موعظة كاملة للإنجيل في يوم الخمسين. لقد استخدم بطرس مفاتيح الملكوت ليفتح الأبواب للناس من كل الأجناس ليأتوا إلى الله.

ينبغي للمغفور له أن يغفر لغيره

بما ان التأمل في مغفرة الله شيء عجيب، فالله يناشدنا أن نغفر للذين أخطأوا إلينا بالطريقة نفسها التي بها يغفر لنا الله عندما نخطيء إليه. لقد وضع يسوع النموذج في الصلاة الربانية حينما قال: «واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» (متى ٦: ١٢). وبعد صلاته، أضاف يسوع قائلاً: «وإن لم تغفر للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوي أيضاً زلاتكم» (آية ١٥). قال بولس الرسول: «وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح» (أفسس ٤: ٣٢).

سأل بطرس يسوع ذات مرة قائلاً: «يا رب كم مرة يغفر لي أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟» قال له يسوع: «لا أقول لك سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات» (متى ١٨: ٢١ و٢٢). واستمر يسوع يقص واحدة من أعظم القصص في الكتاب المقدس عن المغفرة. سامح الملك العبد الذي كان مديون له بأكثر مما يستطيع ان يفي به. يقدر ذلك المبلغ في وقتنا الحاضر بأكثر من ٧ مليون دولار. ورفض هذا العبد ان يسامح شخصاً آخر كان مديون له بما يقدر بـ ١٥ دولار. قال يسوع بان الله يتعامل مع الناس الذين لا يغفرون لغيرهم كما تعامل الملك مع ذلك العبد:

> «... أيها العبد الشرير، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إليّ. أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا؟ وغضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتى يوفي كل ما كان له عليه. فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته» (متى ١٨: ٣٢-٣٥).

ما يتضح من كل هذا هو ان الله لا يضع حداً للمغفرة. يمكن ان تُغفر أسوأ أنواع الجرائم والإساءات. ليس الغفران شيء نمنحه بعد ما يستحقه الآخرين فقط. قال يسوع:

> احترزوا لأنفسكم! وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه، وإن تاب فاغفر له. وإن اخطأ اليك سبع مرات في اليوم ورجع سبع مرات في اليوم قائلاً: أنا تائب فاغفر له (لوقا ١٧: ٣ و٤).

تأمل في مدى قوة هذا التصريح. عندما نكشف عن خطيئة أخاً ما، يجب ان نوبخه، لا ان ننتظر حتى يوبخه شخصاً آخر. وعندما يتوب، ينبغي ان نغفر له مجاناً وعلانيةً. حتى وإن ارتكب الخطأ نفسه مرة أخرى (حتى وإن كان سبع مرات سبعين مرة في اليوم) ينبغي ان نغفر. فحص التوبة ليس من عملنا، بل دورنا هو ان نغفر ونترك الفحص لله.

يأتي الغفران بالتغيير

يقول الناس بانك إذا غفرت، فانك ستنسى. عندما يغفر الله فهو ينسى. إذ يقول: « لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد » (إرميا ٣١: ٣٤). لم يقل لنا ان نغفر وننسى. الحقيقة هي ان الله خلقنا بحيث قد يصعب علينا ان ننسى بعض الأشياء التي اختبرناها. ولكن يمكن ان ننسى بمفهوم اننا لا نتحدث عن الخطأ بعد ولا نعمل بأي انتقام قد نفكر به. إذا غُفر للشخص خطيئة ما، يجب ان نتعامل معه كما لو لم يرتكب هذه الخطيئة.

لنتأمل في الطريقة التي يصف بها الكتاب المقدس غفران الرب. قد يساعدنا هذا في فهم هذه الفكرة بطريقة أفضل. نحن نقرأ عن « مغفرة الخطايا ». عندما يُصفح عن الدين، لا نكون مديونين به بعد: لأنه قد دُفع بالكامل. نقرأ ما يلي في رسالة يوحنا الأولى ١: ٩: « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم ». الخطية تنجس النفس. ويتم تطهيرنا عندما يُغفر لنا. يقول الكتاب المقدس أيضاً بان الخطية « تُمحى ». قال بطرس في أعمال الرسل ٣: ١٩: « فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب ». عندما يغفر الله الخطايا يمحيها لتبداء صفحات حياة جديدة.

الغفران هو وصية تغيير الحياة للذين يطيعونها. لا يوجد شيء يدمر عقولنا، واحساسنا، وصحتنا الروحية أكثر من التمسك بالحقد. عندما نرفض ان نغفر للآخرين، تصبح الحياة مُرّة ومؤلمة. نعيش بآلام جسدية يجلبها أذى الاحساس. نغضب على كل شخص نظن انه أساء إلينا بطريقة ما.

يبني الغضب والحقد حائطاً بيننا وبين الله. تحطم مقدرتنا على التوسل علانية لله عن مشاكلنا بسبب اخفاقنا في ان نغفر للآخرين. يقود الحسد دائماً إلى الاضرار بمن يتمسك به أكثر من مضرة المحسود.

الخلاصة

قد نقول أحياناً: « هذا الشخص لا يستحق المسامحة أبداً »، أو « انها لم تعتذر لي أبداً حتى أسامحها ». ينبغي أن نغفر كما يغفر الرب لنا. قال يسوع وهو معلقاً على الصليب: « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣: ٣٤). الذين صلى يسوع لأجلهم لم يكونوا قد تابوا عن خطاياهم أو طلبوا المغفرة، ولكن غفر لهم يسوع. غفر الله للذين اخضعوا للإنجيل في ما بعد. عندما نغفر للذين حولنا، نتحرر من عبء الحسد، ولكن هذا لا يعني بان الله قد غفر لهم. مغفرة الله للآخرين لا تعتمد على ما نفعله، وإنما على ما يفعلونه. يجب ان نغفر للآخرين من أجل مصلحتنا ومن أجل علاقاتنا مع الآخرين ومع الله.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧